# عروض موقعة

## في الذكرى الخمسين على رحيله :
## " فى الأخلاق والضمير " للدكتور محمد مندور :
## الحقيقه والعدل والحرية

**مندور، طارق.**
**فى الأخلاق والضمير** / طارق مندور .-
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،
٢٠١٢ .- ٢٤٠ ص .
٢٤٠ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٨- ٠٧١- ٢٠٧- ٩٧٧- ٩٧٨

عرض
**نبيل فرج**

يتالف هذا الكتاب من مجموعة مقالات ومخطوطات للدكتور محمد مندور (١٩٠٧-١٩٦٥م) عنوانه "في الأخلاق والضمير" أعده وقدمه الدكتور طارق مندور، وصدر عن الهيئه المصريه العامه للكتاب فى ١٩١٢م.

يرجع أقدم نصوصه إلى سنه ١٩٤٥م، وأحدثها إلى السنة التى رحل فيها محمد مندور .

وبين هذين التاريخين يتاح لقراء هذا الكتاب أن يطلعوا على أحداث ثقافية وسياسية على المستوى الوطني والعالمي، كانت فيها مصر والدنيا تبحثان عن نظم جديدة للحكم والحياة، تستمد من شعوبها، تحرر الإنسان فى كل الأقطار من مخاطر الفاشية، والنازية، والاستعمار، والرأسمالية.

قال مندور عنها كلمة الناقد الأدبي الواعي، والملتزم بالأهداف الإنسانية التي تدافع عن : القومية، وعن الديمقراطية، والحرية، وحقوق الإنسان ؛ من أجل أن توضع الأمور الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والدولية في نصابها الصحيح .

ولعل أهم ماصدر في هذه المرحلة من وثائق ودساتير وقوانين : الإعلان العالمي

لحقوق الإنسان فى ١٩٤٨م، والميثاق الأوروبي لهذه الحقوق فى ١٩٥٠م.

ومندور في سلم القيم يرى أن الثقافة - وليس مجرد المعرفة - هي التي ترفع من خلق الأفراد والمجتمعات ؛ وهي التي تحتفي بالخيال، وتصنع التقاليد .

وبقدر عناية الدولة بثقافتها وقدرتها على تذوقها، يتحدد مقياسها الحضاري .

أما الحكمة فلا تنشأ إلا لدى أصحاب التجارب العميقة، الذين طالت معاشرتهم للتاريخ ، وخضوعهم لمعارك الحياة .

ولهذا فإنه يبدي أسفه لاضطرار المبدعين إلى العمل فى مهن أخرى غير الكتابة، أي بجانب الكتابة، لأن مهنة او حرفة الكتابة وحدها لاتوفر لهم الحياة الملائمة، ويطالب الحكومات في كل الأقطار العربية، في تاريخ باكر، تكوين اتحادات للأدباء تعطي لهذه الحرفة، وتكفل لأهلها الرعاية، ولا تتركها هواية او ملهاة لايستطيع من يمارسها بلا تفرغ تام لها أن يقدم ما يقدمه المحترف .

ويتضح من كتابات محمد مندور في هذا الكتاب أنه : ضد السوق الحر، وضد الانغلاق، ومع المرأه التي تملك من عزة النفس ورقة المشاعر في علاقاتها بالرجل، ما لا يملكه الرجل ؛ إضافة إلى أنه يضيق بمن يتلهف على الاستمتاع بجسد المرأة، وبعد أن يقضي وطره منها يعاملها باحتقار ! .

وعلى الرغم من أن مؤلفات مندور لم تكن تقف عند حدود الموضوعات التي يتناولها، وإنما تتشعب لتغطية ما يتصل بها ؛ فقد قسم المعد هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام :
القسم الأول عن الفن والصحافة.
القسم الثاني عن الأدب .
القسم الثالث عن الفرد والمجتمع .

وكان الأفضل لتجنب التداخل في موضوعات كل قسم مع غيره، وعدم إعادة نشر مقالات سبق جمعها في كتب سابقة، التقيد بالترتيب التاريخي لهذه المقالات، بلا تقسيم، ودون تكرار بالطبع لما نشر من قبل، وذلك بمراجعة أعمال مندور المنشورة بكل دقة لتجنب التكرار، حتى لايفقد الكتاب جدته ، بتضمينه مقالات طالعها القراء في كتب أخرى .

ذلك أنه وفق الترتيب التاريخي يتجلى الحس الأخلاقي الرفيع لمندور في بداية ظهوره وتطوره، وتتجلى المثل العليا التي يدافع عنها منذ عودته من البعثة الفرنسية في نهاية الثلاثينيات، مزودًا بثقافة إنسانية قديمة وحديثة، تمكنه من قراءة قضايا الآثار الماضية، كما يقرا صفحات الثقافة المعاصرة .

ويدعم هذه الثقافة تجارب حياتية عديدة، نطالع آثارها في ضميره الوطني الحاد، وفي التزامه بالرؤية الواقعية، وفي تعبيره عن فلسفة الحياة الجديدة التي ينشدها لبلاده،

وجوهرها : الحقيقة، العدل، الحرية.

وبهذه الثقافة العريضة التي لم تسلم أحكامها من بعض الأخطاء، ولا تسلم بالحدود الجغرافية، أو الزمانية لأنه ليس للفن وطن ؛ كان مندور يربط دائمًا في كتاباته بين القومية والعالمية ؛ مقدمًا العلوم الإنسانية على العلوم المادية، واضعًا يده بدقة على مواطن الأصالة في إنتاج المبدعين على ضوء التراث البشري، والتيارات الفنية المعاصرة، ومؤمنًا بأن رفع الفنون الشعبية إلى المستويات العالمية يقضى بدراسة الفن العالمي الذي يعد تراثًا عامًا للإنسانية، والتي ساهمت في تشكيله بالتأثير والتأثر لكل القوميات .

وقارئ تقديم مندور لكتابه "النقد المنهجي عند العرب" الذي صدر في ١٩٤٨م، يجد أنه يؤمن بأن لكل ثقافة أصولاً ماضية وفروعًا لاحقة هي التي تصوغ تقاليدها، ولا خوف على هذه التقاليد من الانفتاح على ثقافات العالم .

ومن المشاكل الفنية التي يعرض لها مندور في كتابه المسرح بين المستوى الفني والإقبال الجماهيري ؛ وهي مشكلة مثارة لما هو متواتر في الأوساط الثقافية من أن أداء المسرح لوظيفته الاجتماعية يأتي عادة على حساب مستواه الفني . وهذا غير صحيح ، إلا إذا كان المؤلف ضعيفًا، لا يمتلك أدواته الفنية .

إن المحافظه على المستوى الفني الرفيع للإبداع لا يتنافى في نظر مندور، مع وظيفته الاجتماعية .

وهذا المستوى هو الذي يضمن إقبال الجمهور المتذوق عليه ، واستمتاعه به لا انصرافه عنه ، او نفوره منه .

ولأن الذوق الفني العام غير ثابت على حال واحدة، وإنما يتغير من عصر إلى عصر، وكذلك لاتتجمد العبقريات، فإن أصول الذوق الفني بالتالى تتطور مع تغير الزمن والمكان والعبقريات ، استجابة لهذا الذوق العام .

والثروه الأدبية الخالده للأمم - كما يقول مندور - تختلف عن الوثائق التاريخية التي يلغي بعضها بعضًا، والفرق بين الاثنين - الثروة الأدبية والوثائق التاريخية - يتمثل في أن الإنتاج الأدبي تأليف حي لايموت، يثري بمزاياه النفس البشرية، ويخفف من أثقالها بينما الوثائق التاريخية سرد لوقائع عامة، أدخل في باب العلم والمعرفة المنطقية، إلا إذا تناولها العمل الفني، واتخذها مادة أو مجالاً لعرض مشاكل معاصرة، تبرر له التصرف فيما بين يديه من تاريخ .

ومحمد مندور في كل إنتاجه داعية للجمال الذي ينبع في الفن من الإيقاع والتناسق والتعبير العاطفي والخيال الذي لا يخلو من الفكر، ويثير في المتلقي أرقى الأحاسيس .

وطالما أن المستوى الفنى الرفيع يتوفر

في العمل المسرحي، فلا غضاضة أن تؤلف المسرحيات بالعامية المصرية التي تفهم في كل الأقطار العربية .

ومع أن مندور يقف على النقيض من مذهب الفن للفن الذي لايحمل هدفًا، وخاض المعارك ضده، فإنه في هذا الكتاب لايغمط هذا المذهب حقه كتعبير فني، غايته في ذاته وفيما يوحي به، خاصة وأن جزءًا كبيرًا من الثروة الأدبية للجنس البشري التي تقرأها الأجيال وينتمي إلى هذا المذهب، وليس من الحكمه التضحية به .

ولكنه في مواضع عديدة من كتابه يستنكر أن يقتصر الفن على الترفيه والترويح، ويطلب منه أن يحمل رسالة .

وإيمان مندور بالديمقراطية، ودعوته للاشتراكيه العلمية، جعلا من كتاباته دافعًا عن حريه الراي والتعبير ، وقبول الآخر، والتسامح .

ولا يعصم الرأي الحر من الخطأ إلا العقل الذي إذا أخطأ فلديه من القدرة الذاتية على المراجعة ما يستطيع به أن يكشف هذا الخطأ ، وأن يعمل على تصحيحه .

ويتضمن الكتاب في صفحاته الأخيرة تقريرًا عن التخطيط الثقافي قدمه مندور للدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الثقافة والإرشاد القومي في ستينيات القرن الماضي، يطلب فيه ترجمة روائع التراث الإنساني من العصر اليوناني إلى العصر الحديث، ومتابعة الإنتاج المصري المعاصر متابعة شاملة لاختيار ما يستحق منه للترجمة إلى اللغات الأجنبية، مع التعريف بكتابه ومضامينه .

وهذا ما تقوم به الهيئة العامة للكتاب المصرية منذ سنوات بسلسلة كتبها "الأدب العربي المعاصر" ؛ التى كانت آخر إصداراتها ثلاثه كتب لصلاح عبد الصبور، وإدوارد الخراط ، وألفريد فرج .

كما يطالب مندور أيضًا بإعداد دائرة معارف عربية، والاهتمام بنشر التراث العربي محققًا، وفق المناهج العلمية الحديثة، ووفق خطة محددة من أجل المساهمة في بناء الثقافة الإنسانية المعاصرة .